

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثانية والعشرون بعد المائة

ابن خزيمة (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن جد واجتهد في العلم في حداثة سنه ، فبرع صغيراً وساد كبيراً ، إنه محمد بن إسحاق بن خزيمة ، الحافظ الحجة الفقيه .

ولد ابن خزيمة سنة ثلاث وعشرين ومئتين وعني في حديثه بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان .

سمع الحديث من مشايخه وهو صغير السن ، وهكذا كان الشباب في صدر الإسلام من حين أن يميز الواحد منهم فإنه يتجه إلى معالي الأمور من طلب العلم ونحوه ، وكان أهلهم يعينونهم على ذلك ويوجهونهم التوجيه السليم ، فيشب أحدهم على العلم ويتربى على الطاعة ، فينفع بذلك نفسه وينفع أمته ، ولله درهم من رجال خدموا هذه الأمة خدمة جليلة بما ورثوا لها من علم نافع ، وما حفظوه من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقد ظهرت الرغبة في العلم عند ابن خزيمة من صغره ، فلنستمع إلى رواية حفيده محمد بن الفضل بن محمد قال : سمعت جدي يقول استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة فقال اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت فلما عيدنا آذن لي فخرجت إلى مرو، وسمعت بمرو الروذ من محمد بن هشام صاحب هشيم فتعي إلينا قتيبة .

هذا الخبر يدل على رغبته في الخروج لطلب العلم في صغر سنه ، حيث استأذن والده في ذلك ، فأين هذا من رغبات الشباب في هذا الزمان ، وأين هذا من قصدهم في أسفارهم ، ففعل ذلك الفتى من فتیان صدر الإسلام فيه عبرة وعظة لفتیان الإسلام في العصر الحاضر ، في إقبالهم إلى العلم وتوجيه رحلاتهم إلى الخير .

ثم هناك أمر آخر هو موافقة الوالد على طلب الابن ، ولكنها موافقة مشروطة بحفظ القرآن ، فسرعان ما نفذ الابن ذلك الشرط وحفظ القرآن ، ثم بعد ذلك خرج في طلب العلم . وهذا مما يؤكد منهج السلف (رحمهم الله) في تعليم أولادهم والبداية بحفظ القرآن.

وقد كان (رحمه الله) يبذل الأسباب للحصول على العلم ، ومن ذلك ما بينه في إجابة سؤال وجه إليه : من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وإني لما شربت سألت الله علما نافعا .

وهكذا فإن ابن خزيمة (رحمه الله) لم يكتف بالأَسباب المعروفة في تحصيل العلم من الجد والاجتهاد في الطلب ، بل اغتم ذلك التوجيه النبوي في بركة ماء زمزم فشرب منه ، ودعا بالعلم ، فحري بالمسلم الذي تتاح له فرصة الشرب من ماء زمزم أن يغتنم ذلك أيضاً في حاجاته الكثيرة .

ومن عجيب أخبار ابن خزيمة (رحمه الله) التي تدل على حبه لأهل العلم ، خبر الضيافة البستانية ، حدث أبو أحمد الحسين بن علي التميمي أن الضيافة كانت في جمادى الأولى سنة تسع وثلاث مئة وكانت لم يعهد مثلها، عملها ابن خزيمة فأحضر جملة من الأغنام والحملان وأعدال السكر والفرش والآلات والطباخين، ثم إنه تقدم إلى جماعة المحدثين من الشيوخ والشباب فاجتمعوا بجنزروذ وركبوا منها، وتقدمهم أبو بكر يخرق الأسواق سوقا سوقا يسألهم أن يجيئوه ويقول لهم سألت من يرجع إلى الفتوة والمحبة لي أن يلزم جماعتنا اليوم، فكانوا يجيئون فوجا فوجا حتى لم يبق كبير أحد في البلد يعني نيسابور، والطباخون يطبخون وجماعة من الخبازين يخبزون، حتى حمل أيضا جميع ما وجدوا في البلد من الخبز والشواء على الجمال والبغال والحمير، والإمام رحمه الله قائم يجري أمور الضيافة على أحسن ما يكون حتى شهد من حضر أنه لم يشهد مثلها .

ومما يذكر لصاحبنا في هذه الحلقة عقيدته الصافية ودعوته إلى سلامة العقيدة ونبذه للبدع ، وقد أثار أهل الكلام في زمانه بعض المسائل التي خالفوا فيها الكتاب والسنة ، فأنكرها وبين وجه الحق فيها ، قال أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه سمعت ابن خزيمة يقول القرآن كلام الله تعالى ومن قال إنه مخلوق فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل ولا يدفن في مقابر المسلمين .

وعن أبي سعيد عبدالرحمن بن أحمد المقرئ قال : سمعت ابن خزيمة يقول القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، غير مخلوق ، ومن قال شيء منه مخلوق أو يقول إن القرآن محدث فهو جهمي .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، لقد أدرك الإمام ابن خزيمة (رحمه الله) المكانة العالية في قلوب الناس، تلك المكانة التي تدرك بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، وحسن الخلق ، ومما يدل على تلك المكانة العظيمة له في قلوب الناس تلك الأقوال الكثيرة في الثناء عليه من أهل الخير والفضل .

قال أبو الحسن الدارقطني كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير .

وقال أبو حاتم بن حبان التميمي: ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط .

وقال أبو علي الحافظ كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة . وقال : لم أر أحدا مثل ابن خزيمة .

وقال عبدالله بن خالد الأصبهاني : سئل عبدالرحمن بن أبي حاتم عن أبي بكر بن خزيمة قال ويحكم هو يسأل عنا ولا نسأل عنه هو إمام يقتدى به .

وقال : محمد بن سهل الطوسي سمعت الربيع بن سليمان وقال لنا هل تعرفون ابن خزيمة قلنا نعم قال استفدنا منه أكثر ما استفاد منا .

نعم هكذا بلغ ابن خزيمة المكانة العالية في قلوب الرجال بعلمه وعمله وسلامة عقيدته وحسن خلقه ، وهذه الأمور التي يحمد عليها الرجال ، فإن المكانة الحقيقية في قلوب الناس

لا تدرك بجمال الصورة أو حسن الهندام أو فخامة المركب ، بل تدرك بمعالي الأمور ، وفق الله شباب الإسلام لكل خير .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.